جامعـــة إفريقيـــا العالمية
الســـودان – الخرطـــوم

ملتقى الجامعات الإفريقية

التداخل والتواصل في إفريقـــيا

أوراق المـــؤتمـــر العـــلـــمي

الكتاب الثالث

الخرطوم – يناير 2006

مقـــدمة

تضم صفحات هذا الملف أوراق ملتقي الجامعات الإفريقية، نشاط الندوة العلمية الذي يجئ تحت شعار التواصل والتداخل في إفريقيا ، ويهدف الملتقي إلي تعزيز روابط التواصل بين الجامعات الإفريقية ممثلة في الإدارات وهيئات التدريس والطلاب ، عسي إن يسهم ذلك في إبراز حركة التواصل الروحي والفكري والسياسي والإجتماعي ،وإشاعة الوعي بالواقع الإفريقي وتبادل الخبرات لإيجاد مقدمات لرؤية مشتركة لحل مشكلات القارة.

ومن المآمول أن يؤدي ذلك لتعارف وتواصل الجامعات الإفريقية واكتشاف الجامعات لأفضل الطرق لافرقة الجامعات ، حتي تعود تنطق باسم القارة كما يسعى الملتقي لتوحيد العقل الإفريقي وإيجاد القاسم المشترك النابع من الحوار الإفريقي – الإفريقي، والتعاون الإفريقي– الإفريقي، وفتح قنوات التواصل بين الأفارقة.

وتضم صفحات هذا الملف الثالث البحوث التي وصلت حسب المواعيد مما مكن من ترجمتها وطباعتها في هذا الملف ، ونأمل أن نتمكن من تغطية كل البحوث الواردة في المؤتمر .

مع الشكر

إدارة الندوة

اللغـــــة العربية في إفـــريقيا

د.صالح عبد السلام عبد الله البغدادي
مركز البحوث والدراسات الإفريقية – جامعة سبها

بداية فإننا نرى التأكيد على حقيقة مهمة، وهى أنه لا توجد أفضلية للغة على لغـة أخرى، فكل لغة هي لسان قومها يعبرون بها ويتواصلون من خلالها، وهى جـزء أصـيلٌ من هويتهم وشخصيتهم، كما أن اللغة هي المكون لكيانات القبائل و الشعوب ، فـالاختلاف الجوهري بين أفراد هذه الشعوب يكون في اللغة، فإذا ما تقاربـت الألـسن وذاب الجليـد اللغوي الذي يفصل بين شعبين، فان هذين الشعبين كثيرا ما يكونـان قوميـة واحـدة ، لا يفرق بين أفرادها سوى تلك الفوارق الشخصية التي بين الأفراد ، وهـذا يعنـى أن اللغـة وسيلة من أهم الوسائل التي تربط بين الشعوب، وتوحد مصيرها، وتجعلهـا كيانـاً قويـاً، وتوثق عرى التلاحم بين أبنائها، وتجعل منهم قوة في مواجهة متطلبات الحياة ومنغصاتها.

أقول هذا وأنا بصدد الحديث عن اللغة العربية في القارة الإفريقية، هذه اللغة التي مثلت جسرا مهما للتواصل بين أبناء هذه القارة منذ أمد بعيد، فقد هُيئـت لهـا الظـروف الجغرافية والتاريخية والدينية، لتكون لغة إفريقية، فعلماء الجيولوجيا يؤكـدون أن إفريقيـا وجزءاً من أسيا الذي هو موطن العرب كانت في يوم من الأيام ملتحمـة قبـل أن تنفلـت قشرة الأرض ويظهر البحر الأحمر والقرن الإفريقي، والقرن الإفريقي ذاته كان متـصلا ببلاد العرب ، كما اتصلت الأرض في الشمال في منطقة سيناء والسويس، ولا غرابـة أن تتصل الشعوب كما اتصلت الأرض إذ تشير بعض الدراسات إلى أن الشعوب التي كانـت تسكن القرن الإفريقي شرقا وغربا كانت تعيش في رقعة واحدة متصلة، فهذا يقوى الـرأي القائل إن إفريقيا هي الموطن الأول للغات السامية :العربية والعبريـة والآراميـة، ومـن إفريقيا انتقلت هذه اللغات إلى الجزيرة العربية.[1]

ومهما يكن من أمر، فان سهولة العبور بين شبه جزيرة العرب والقارة الإفريقية سهل العبور البشرى سواء من شبه الجزيرة العربية أو إليها، (فمن الساحل الغربي غزا الأحباش اليمن، ومن الجزيرة العربية كانت، هجرات الشعوب الناطقة بالسامية تنساب بين الحدود، من وقت إلى آخر) [2]، ومن هذه الشعوب السامية الفينيقيون الذين وصلوا مع موجات الهجرة التي خرجت من شبه الجزيرة في اتجاه الشام عند منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد، ثم اتجهوا غرباً، عندما اشتد عليهم ضغط الآشوريين، فوصلوا إلى سواحل شمال إفريقيا، حيث أسسوا دولتهم القوية في قرطاجة على ساحل تونس حوالي سنة 814 قبل الميلاد، وأقاموا مراكزهم التجارية على الساحل الليبي: صبراتة، ولبدة، وأويا (طرابلس)[3] وقد ((تكلم الفينيقيون لغة سامية تطابق في البناء والنطق اللغة العربية الحالية، ويتجلى هذا التطابق بوضوح مثير للدهشة في أسمائهم بالذات التي كانت تضاف إلى اسم بعل، فالولد يدعى أحيانا "بار كبعل" أي الذي باركه بعل وأحيانا "معطبعل" أي عطية بعل ،فيما تدعى البنت "عريسة بعل" أي خطيبته أو أمة بعل – أي جاريته، أو تدعى مباشرة بنت بعل أي ابنة بعل))[4]، فالدلائل التي تشير إلى هذه الصلة قوية ولعل من أبرزها وجود الأثر اللغوي القوى للغات الإفريقية في اللغة العربية. و((يقرر اللغويون أن اللغة الأمهرية الحالية هي اللغة الحميرية القديمة، ويقص القرآن الكريم قصة أصحاب الأخدود، مما يدل على قيام علاقات دينية بين المنطقتين في مرحلة ما بعد الميلاد وقبل ظهور الإسلام))[5].

وقد أحصي جلال الدين السيوطي كثيرا من ألفاظ اللغات الإفريقية التي تعربت ووردت في القرآن الكريم وذلك في كتابه المتوكلى على النحو التالي:

أولا: الألفاظ التي وردت باللغة الحبشية

(شَطْر) تعنى تلقاء، (الجبْتِ): الشيطان، (الطاغوت): الكاهن، (حَوْباً): إثماً، (الأوَّاه): المَوقِن،(ابْلعي): ازدردي، (متكأ): التُّرنج،(طُوبَى): اسم الجنة، (السَّكَرُ): الخل،(طه): محمد بالحبشية،(حرم): وجب، (السِّجلِّ): الرجُلُ، (المشكاة): الكوة، (أوبي):

سبحي،(كفلين): ضعفين ، (يس): تعنى يا إنسان ، (العَرِم): المُسنَّاةُ التي يجتمع فيها المـاء ثم ينبثق ،(ناشئة الليل): قيام الليل ، (منفطر): ممتلئ، (قسورة): الأسد ، (يَحُوْرَ): يرجـع، (سنين): الحسن، (الأرائك): السرير، (دُرِّيٌّ): مضيئ، (غيض): نقص.

ثانيا:الألفاظ التي وردت باللغة الزنجية

(حصب): تعنى حطب، (الأليم): الموجع، (المنسأة): العصا.

ثالثا:الألفاظ التي وردت بالبربرية

(المُهل): الزيت،(إناه): نُضْجَه،(يُصْهَرُ بِهِ): ينضج به،(وأباً): الحشيش،(القنطـار): ألـف مثقال من ذهب أو فضة[6].

كما وجدت آثار للغة العربية في اللغات الإفريقية وليس أدل على ذلك مـن أن بـلاد الحبشة أخذت اسمها من قبيلـة حبـشت العربيـة[7]، ((وقـد وجـدت بعـض الألفـاظ والاصطلاحات الحبشية طريقها للغة العربية نتيجة هذه الاتصالات أيضاً. ومع أن معظـم هذه الألفاظ ذات جذور سامية إلا أن علماء اللغات يؤكدون أنها قد دخلـت العربيـة عـن طريق الحبشة، ومن هذه الألفاظ ما يعود إلي مسائل دينية كالحواريين ومنـافق، ومنبـر، ومحراب، ومصحف، وبرهان. ومنها ما يدل على الأبنية والطرق مثل الخوخـة (الفتحـة في الحائط أو النافذة الصغيرة)، والصرح (أي القصر) والسكة. ومنها ما يدل على الزينـة والملابس كالجلباب والوقف، والزربية والحنبل والدملج، ومنها مـا يـدل علـى التوقيـت كالتاريخ والساعة والزمن ومنها ما يدل على الأواني كالشواحين والصواع، وما يدل علـى الحيوان مثل الحريش والزرافة والبغل والهرماس، ومنها المائدة والمشكاة))[8]، إضافة إلى أن اسم إفريقيا كما ذكر ياقوت الحموي قد أخذ من إفريقش بن أبرهة بن الرائش الذي يقال أنه غزا المغرب، وانتهى إلى موضع واسع رحيب كثير الماء، فبنى هناك مدينـة اسـماها إفريقيا[9].

كل هذا يمثل دليلا واضحا على أن العلاقات العربية الإفريقية مـرت بمراحـل مـن التداخل الاجتماعي في فترات ليست بالقصيرة ، فالعربي كـان علـى معرفـة باللغـات

الأفريقية ، ويتواصل مع الناطقين بها أخذا وعطاء إلى الحد الذي جعل مثل هذه الألفاظ تستوطن الجزيرة العربية، وتكون جزءا من مفردات لغتها ،وأن المتحدثين بها من العرب لا يجدون غضاضة في استعارتها والتواصل بها لتضحى ألفاظا قرآنية مقدسة.

وقد أشار بعض الباحثين إلى أن هناك بذورا للغة السامية المتمثلة في اللغة الفينيقية القديمة في البناء والنطق تشبه لغتنا العربية الحالية سبقت وجود العرب في الشمال الإفريقي، وهذا بدوره يعزز ما ذهبنا إليه من أن اللغة العربية لها جذور قديمة في إفريقيا، مما مهد السبيل أمام اللغة العربية لتستوطن القارة الإفريقية ولتكون اللغة ألام لربع سكانها فيما بعد.

وقد شهدت شبهة الجزيرة العربية امتزاجاً عربياً إفريقياً بعد ميلاد المسيح وقبل ظهور الإسلام، إذ برزت شخصيات ذات ملامح إفريقية خلدتها الذاكرة العربية، خاضت انتفاضات وتمردات لتأكيد وجودها في المجتمع العربي، وقد تم لها ذلك وأصبحت من سادات العرب من أمثال عنترة بن شداد الفارس والشاعر المعروف، وخفاف بن ندبة، والسليك بن السلكة وغيرهم. فبعد ظهور الإسلام كانت إفريقيا هي الملجأ والأمان للدعاة المسلمين الأوائل، فقد أمر الرسول ρ أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، فرارا بدينهم من بطش واضطهاد قريش، قائلا لهم (لو خرجتم إلى الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق ،حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه)[10]، ووجد المهاجرون المسلمون عند النجاشي الملجأ و الامان كما ذكر الرسول ρ، وقد مهدت هذه الهجرة لتوثيق الصلات بين العرب وبلاد الحبشة التي قامت في الأساس على المسالمة والمودة، ثم تطورت هذه العلاقة بسبب التجارة إلى أن أنشأ العرب مراكز تجارية على الساحل الإفريقي وأستقر كثير منهم واختلطوا بالسكان الأصليين مما ساعد على نشر الإسلام تدريجيا في تلك المناطق .

كما رافق انتشار الإسلام بروز الشخصية الإفريقية متمثلة في بلال بن رباح الحبشي الذي كان من كبار صحابة الرسول ρ فما من عربي يذكر اسم بلال إلا ويثني عليه

ويسترضي الله عنه ولا يشك في عروبته على الرغم من لقبه الحبشي الذي يشير إلي أصله الإفريقي، فقد رسخت في أذهان العرب المقولة: «أن كل من سكن بلاد العرب وجزيرتها ونطق بلسان أهلها فهو عربي» وجاء الإسلام ليضع حداً لكل تفكير عنصري يميز بين العرب على الأساس العرقي، فقد روى ابن عساكر حديثاً يسنده إلي مالك بن أنس عن الزهري عن أبي سلمى بن عبد الرحمن قال: «جاء قيس بن مطاطية إلي حلقة فيها سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي، فقال: هؤلاء الأوس والخزرج قاموا بنصرة هذا الرجل (يعني النبي ρ) فما بال هؤلاء فقام إليه معاذ فأخذ بتلابيبه حتى أتي به النبي ρ فأخبره بمقالته فقام مغضباً يجر رداءه حتى دخل المسجد ثم نودي الصلاة جامعة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس إن الرب واحد وإن الأب أب واحد وإن الدين دين واحد ألا وإن العربية ليست لكم بأب ولا أم إنما هي لسان فمن تكلم العربية فهو عربي»[11]، فالعربية بهذا المعني هي لغة وثقافة، ولا تقتصر على العرق وحده.

وعندما انتقلت اللغة العربية إلي إفريقيا مع الإسلام لم تستغرق وقتاً في أن تكون لغة إفريقية إلي جانب اللغات المحلية ــ التي كما سبق ــ وأن أشرنا لا تخلو من تأثير وتأثر باللغة العربية، خاصة وأنها أصبحت واسعة الانتشار وعن طريقها صار التعامل ميسوراً بين أصحاب اللهجات المختلفة، أضف إلي هذا أنها تحمل رسالة الإسلام التي آمنت بها تلك الشعوب التي كونت مع العرب مجتمعاً واحداً شبيها بالمجتمع الذي تكون حول الكعبة عندما بناها النبي إبراهيم وابنه إسماعيل جد العرب المستعربة الذي لم يكن ذا أصل عربي بالمعني العرقي ولكنه اكتسب العروبة بالثقافة واللغة فأصبح يطلق على نسله العرب المستعربة تمييزاً لهم عن العرب العاربة الذين ينتمون إلي العروبة بالأصل العرقي وقد تفطن أبو عثمان الجاحظ إلى ذلك أثناء عرضه لقضية عروبة إسماعيل عليه السلام فقال (والمشاكلة من جهة الاتفاق في الطبيعة والعادة ، ربما كانت أبلغ من المشاكلة في الرحم)[12] وهذه الحال في اعتقادنا تنطبق على العربية في إفريقيا إلى حد بعيد وتبرز سرعة انتشار هذه اللغة في هذه القارة، ((فالمتحدثون باللغة العربية في إفريقيا ليسو كلهم

عرباً لحماً ودماً بل أن أكثرهم عرب لغة وثقافة، وحضارة وعقيدة أما دماؤهم، فهي تأتي في مرتبة ثانوية وهي أما إفريقية خالصة أو إفريقية عربية))[13].

فما من شك أن الإسلام أسهم أسهاما واضحاً في نشر العربية في إفريقيا لكن ذلك تم من منطلق الإيمان بالإسلام وباللغة العربية التي تحمله، خاصة إذا عرفنا أن الإسلام لم ينتشر في إفريقيا بالقوة، فالقبول بين العرب والأفارقة كان متبادلا، فالمنازعات والخصومات والتقاتل والتدافع هي من طبيعة الحياة، فإذا ما نظرنا إلي النتيجة الحاصلة فإننا نجد العرب والأفارقة يكونون نسيجاً واحدة وإن اللغة العربية صارت إفريقية تحظى بالقبول ولا ينظر إليها على أنها لغة استعمارية دخيلة.

لقد قامت التجارة بدور بارز في نشر اللغة العربية في القارة فأصبحت هي اللغة الموحدة لجانب كبير من شعوب القارة، فالعلاقة التجارية هي التي وضعت حجر الأساس للغة العربية في إفريقيا وكانت طريق القوافل التجارية معبراً يمر من خلالها العرب إلي جنوب الصحراء الكبرى، فتخرج هذه القوافل من مدن شمال غرب إفريقيا مثل فاس ومراكش وتلمسان وقسطنطينة والقيروان وطرابلس وغدا مس تحمل التجارة إلي أقاليم غرب إفريقيا، حيث يتم التبادل التجاري مع دول غانا ومالي وجاوا وكانو، وتعود هذه القوافل محملة بالواردات الإفريقية من عاج وذهب وغيرها.

ثم أسهمت هذه التجارة في نشر الإسلام حيث صار التجار دعاة للدين الجديد الذي حمل تباشير الوعي الحضاري إلي الإفريقيين وهذا الذي دفع (هوبير ديشان) حاكم المستعمرات الفرنسية بإفريقيا حتى عام 1950 إلي القول: ((إن انتشار دعوة الإسلام في أغلب الظروف لم تقم على القسر وإنما قامت بالإقناع الذي كان يقوم به دعاة متفرقون لا يملكون حولاً ولا طولاً إلا إيمانهم العميق بربهم، وكثيراً ما انتشر الإسلام بالتسرب السلمي البطيء ومن قوم إلي قوم، وقد يسَّر انتشار الإسلام إنه دين الفطرة بطبيعته سهل التداول لا لبس ولا تعقيد في مبادئه سهل التكيف والتطبيق في مختلف الظروف))[14]

فاللغة العربية رافقت التجار المسلمين لتكون اللغة الإفريقية الأولي، فقد اقتضت الحاجة لتعلمها في أغراض الدنيا والدين، فالمعاملات التجارية تستوجب لغة موحدة، وكانت اللغة العربية مؤهلة للقيام بهذا الدور، وكذلك تعلم العبادات يفرض قراءة القرآن بالعربية فهذا كله سهل لأن تحتل مكاناً في نفس الإنسان الإفريقي، ومن ثم فتح الباب على مصراعيه لتعليم اللغة العربية، وبدأت الدول الإفريقية في التكوين، فقد (أثر الإسلام على تهذيب النظام القبلي، وأتاح الفرصة لتآخيْ القبائل في ظل وحدة الدولة الواحدة، وبالتالي قامت دولة كانم الإسلامية بدل التجمع القبلي القديم وساعد الإسلام في كانم على نشوء ونمو كثير من المدن التجارية مثل مدينة جيمي وكاكا) [15].

ومنذ نشأتها اتخذت دولة كانم اللغة العربية لغتها الرسمية بها تكتب جميع سجلات الدولة ومعاملاتها.ومما يدل على انتشار اللغة العربية في الأوساط الشعبية في الدولة أنها تحولت إلي لغة عامية بينما ظل استخدام الفصحى للأغراض الرسمية والدينية[16] وهذا لا شك يقتضي التوسع في تعليم اللغة العربية مما استدعى الاستعانة بمعلمين قادمين من البلاد العربية الذين يفدون على المنطقة ليعلموا اللغة العربية وعلومها من فقه وتفسير وآداب وكان هؤلاء يحظون بمكانة رفيعة في أوساط الناس (وقد تفوقت مراكز الثقافة العربية في كانم ــ برنو في القرنين الثاني عشر والثالث عشر على وجه الخصوص مما أدى إلي تكون جماعة من العلماء أجادوا اللغة العربية، وأسهمت طائفة كبيرة منهم في الكتابة في شتي ألوان التأليف في الآداب والدين، والعلم والتاريخ, وقد تلقي المعلمون في كانم تعليمهم على يد علماء مهرة في الداخل أو ممن أتيحت لهم فرصة الدراسة في معاهد القيروان وفاس وطرابلس وغيرها من مراكز الثقافة الإسلامية، ولكنهم درسوا بصفة خاصة في الجامع الأزهر بالقاهرة) [17].

وما شهدته مملكة كانم برنو شهدته مملكة واداي من حيث الاهتمام بتعليم العلوم الإسلامية واللغة العربية، فقد تقدمت واداي في علوم العربية مثل النحو والصرف

والبلاغة وعلوم التفسير وخاصة علم التجويد، وظهرت مدارس عدة خاصة بتعليم اللغة العربية في أبشة ثم انتشرت في ما جاورها من المناطق[18].

وهكذا أسهمت اللغة العربية في مد جسور التواصل بين العرب في الشمال وسكان حوض تشاد وبناء الحضارة العربية الإسلامية المشتركة في هذه المناطق وأثبتت كما قال محمد بكاري أنها (لغة كونية لا يحدُ انتشارها سلطان قوم وسطوتهم على غيرهم، ولا يعكس سلطانها نزوع عرق من الأعراق للتفوق والهيمنة على غيره وإنما تعلو بكلمة الله وتعلو بها كلمة الله وتتوثق بها علاقة الوحدة والوئام بين الشعوب والأعراق المختلفة، وترتاد بها الأمم ــ وقد كان ذلك فيما سبق ــ آفاق العلم والمعرفة والسبب الحضاري)[19].

وقد استطاعت اللغة العربية أن تتبوأ بجدارة مكان اللغة الموحدة في عدد كبير من أقطار إفريقيا، وتم لها ذلك بسيرورتها المباشرة وانتشارها الكبير في القارة، ثم بتلاقحها مع اللغات الإفريقية، حيث أخذت هذه اللغات الكثير من مفرداتها من اللغة العربية، وخاصة في إطار الدين التجارة والإدارة.

وكانت السواحيلية والهوسوية من أكثر اللغات تأثراً بالعربية، فالسواحيلية تعد من أهم اللغات المستعملة في إفريقيا، فهي تحتل المكانة الثانية بعد العربية من حيث انتشارها وعدد الناطقين بها فهي اللغة الرسمية في جمهورية تنزانيا الاتحادية واللغة الرسمية في جمهورية كينيا، كما تستعمل على نطاق واسع في الجنوب الصومالي وأوغندا وفي المناطق الحضرية في رواندا وبوروندي، وكذلك شرق زئير شمال الموزمبيق وجزر القمر، فقد تكونت بين هذه اللغة واللغة العربية صلات حضارية وثقافية تمثل نموذجاً رائداً للتلاحم اللغوي بين العربية وأخواتها الإفريقيات، فعلي الرغم من أن اللغتين تنتميان لفصلتين لغويتين مختلفتين البانتو، والسامية، فإن هذا لم يقف حاجزاً في طريق تعاون اللغتين لأداء دورهما الحضاري والثقافي مع الاحتفاظ بالخصائص الأساسية، فقد حافظت السواحيلية على أصالتها على الرغم من استعارتها كثيراً من مفردات اللغة العربية.

وقد أكدت بعض الدراسات الحديثة أن السواحيلية وآدابها شديدة الارتباط باللغة العربية، فيرى بعض الباحثين أن فهم الأدب السواحيلي وبخاصة الديني منه، يقتضي الإلمام بمعارف إسلامية متعددة مثل تفسير القرآن والفلسفة الإسلامية في العصور الوسطي[20]. وهذا لا شك يدل على الاتصال الوثيق بين اللغة العربية واللغة السواحيلية، فالعربية هي لغة الإسلام ومعارفه وعن طريقها تلقى السواحيليون هذه المعارف.

وقد خاضت اللغة العربية واللغة السواحيلية تجربة حضارية رائدة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وتمثلت هذه التجربة في السلطة العربية الإفريقية أول إمبراطورية شرق ووسط إفريقيا (التي اتخذت من زنجبار عاصمة ومركزاً لها وامتدت حتى إقليم كاتنغا في زئير والواضح أن هذه الإمبراطورية، قد اتخذت اللغة السواحيلية لغة لها بجانب العربية التي كانت بمثابة لغة البلاط) [21].

أما لغة الهوسا فيتحدث بها في نيجيريا، والنيجر، والكمرون، والسودان، وغانا، وبلاد أخرى في غرب أفريقيا، ولا يخفى أن اللغة الهوسوية كتبت بالحروف العربية في بداية أمرها، وقد تأثر الأدب المكتوب بهذه اللغة بالأدب العربي في شكله ومضمونه إذ عالج شعراء الهوسا المواضيع الدينية، فقلدوا الشعر العربي الديني وروافده الصوفية، وقد أشتهر علماء أتقنوا اللغة العربية، ومن أشهرهم الشيخ أحمد بابا التنبكتي صاحب نيل الابتهاج[22].

أن التاريخ الاجتماعي والديني والحضاري للغة العربية في إفريقيا جعلها حاضرة في الثقافة الإفريقية، وكون لها رصيداً هائلاً في ذاكرة الإنسان الإفريقي، فهي إضافة إلي أنها لغة الشمال الإفريقي الذي يكون ربع سكان القارة، فإنها ذات أثر بارز في ثقافة شعوب جنوب الصحراء الكبرى، ((فهنالك أكثر من 100 مليون مسلم في إفريقيا(جنوب الصحراء) يمثلون ثلث السكان تقريباً) [23] فبالإضافة إلي أن اللغة العربية لا تنفصل عن الإسلام في هذه البلاد فإن التراث الإفريقي في جزء كبير منه كتب باللغة العربية، وفي كثير من أجزائه الأخرى كتب بلغات إفريقية استخدمت الحرف العربي، يقول عبدا لقادر

إدريس أربون: ((كانت العربية أكبر لغة مكتوبة في إفريقيا عامة وأن معظم اللغات الإفريقية واصلت عطاءها العلمي والأدبي حيث كتبت بالحرف العربي، وأن الذين أسهموا من العلماء والأدباء والمفكرين الأفارقة في الثقافة العربية والإسلامية هم من الكثرة بمكان تشهد بذلك آثارهم المكتوبة المخطوطة منها والمطبوعة) [24]. فاللغة العربية بهذا تمثل ركناً أساسياً من أركان الهوية الثقافية الإفريقية وهذا ما دفع وزير التربية السنغالي إلي القول: (علينا أن نولي الثقافة العربية ذات الحضور الواسع في بلادنا عناية أكبر، وبدون ذلك فإننا لن نستعيد أبداً الأبعاد الحقيقية لهويتنا الثقافية) [25].

واللغة العربية مازلت مؤهلة مع أخواتها الإفريقيات بأن تقوم بالدور الوحدوي والحضاري الذي قامت به في الماضي، فهي لغة إفريقية تاريخاً وحاضراً، وقد خاضت تجربة حضارية خرجت منها بنجاح منقطع النظير إبان ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، إضافة إلي كونها لغة الدين فقد أظهرت أنها لغة عالمية استوعبت علوم الأمم السابقة في الطب والتشريح والهندسة والطبيعة والميكانيكا، والرياضيات والكيمياء والفلك والجغرافيا والأخلاق والفلسفة، وغيرها، فقد برز الكثير من العلماء الذين أصلحو كثيراً من الأخطاء العلمية لمن سبقهم وأضافوا الكثير من المعرفة النظرية والتطبيقية وبقيت كتبهم وعلومهم تدرس في الشرق والغرب، وفي إفريقيا، وقد أبدت اللغة العربية خلال ذلك مرونة بحيث استطاعت أن تلبي مطالب الحياة، بما تميزت به من اتساع، جعلها غنية بالأسماء والأفعال والصفات وباستيعابها الأصيل للاقتباس، وتعريب تلك الألفاظ التي خلفتها الحضارة والفنون[26]. فظهرت مصطلحات علمية جديدة مثل: الجبر، والجذور، والجيب، والحساب، والهيئة،والمنطق،والسالب، والموجب. واستحدثت مصطلحات جديدة مثل الحساب، والفلك، والإلحاد، والتحليل، والخطابة، حلت محل الأرنماطيقا، والأسطروفوميا، والهرطقة، والأنالوطيقا، والريوريقا[27].

وبهذه المرونة التي أبدتها اللغة العربية استطاعت أن تلبي أدق مطالب الحياة ساعدها على ذلك كثرة المترادفات بحيث يكون للشيء الواحد عدة أسماء، فقد جمع العلماء للسنة أربعة وعشرين اسماً وللسيف خمسين اسماً وللأسد ثلاثمائة وخمسين اسماً، وللحية

مائة اسم وللحمل مثل ذلك، وذكروا في أسماء الناقة مائتين وخمسة وخمسين اسماً، إلي غير ذلك من الأسماء والصفات التي كانت معروفة لدي العرب[28].

كما تميزت اللغة العربية بالاشتقاق، وهو توليد لبعض الألفاظ من بعض والرجوع بها إلي أصل واحد يحدد مادتها ويوحى بمعناها الخاص الجديد فقد أثبتت بالتجربة أنها قادرة على أن تكون لغة العلم والحضارة وأن تحتفظ بخصائصها التي ميزتها عن سائر اللغات الأخرى، فهي إلي اليوم (لا تزال قائمة على أسسها المتينة وأعمدتها الصلبة لم تصبها الهزات التي أصابتِ اللغات الأخرى فالنصوص التي بني عليها الدارسون أبحاثهم وملاحظاتهم وخرجوا منها إلي القواعد والقوانين لا تزال معيناً ثراً لا ينضب) [29].

هكذا فالعربية لغة حضارية رصينة نضجت على تعاقب السنين، وتناقلتها الألسن على فهم ودراسة زادها القرآن الكريم قوة ورسّخ قوانينها التي عمل العلماء على تثبيتها وتقعيدها مما جعلها لغة دينية تراثية، مرتبطة بالمجتمع العربي والإسلامي مواكبة لتطوره منذ أقدم عصوره إلي اليوم.

وشعوبنا الإفريقية وهي تتطلع إلي النهوض وبناء حضارتها الجديدة التي تتحقق فيها كرامة الإنسان وتسودها قيم الحرية، والعدل، والمساواة، فاللغة العربية مع أخواتها الإفريقيات مؤهلة لأن تكون لغة النهضة الإفريقية المعاصرة.

الهوامش

1 ــ انظر يوسف خليفة أبو بكر، مكانة اللغة العربية، في لغات إفريقيا وثقافتها، من قضايا اللغة العربية المعاصرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة العلوم، تونس 1990 ص228 (نقلاً عن رمضان عبد التواب: (فصول في فقه اللغة العربية) ص37.

2 ــ يوسف فضل حسن، تبادل التأثيرات الثقافية بين الحجاز واليمن ومصر من جهة وبين وسط وشمال شرقي إفريقيا (إثيوبيا وموريتانيا والسودان ووادي النيل وأوغندا) من جهة أخرى، في العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الإفريقية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس 1985 ص33.

3 ــ انظر سلسلة تاريخنا، الكتاب الأول، ليبيا من عصور ما قبل التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد ص234.

4 ــ نفسه ص 232.

5 ــ انظر الجذور التاريخية للعلاقات الثقافية بين العرب وإفريقيا، في العلاقات بين العربية والثقافة الإفريقية في دراسة المنظمة العربية للتربية والثقافة العلوم القاهرة 1979 ص41-47.

6 ــ جلال الدين السيوطي، المتوكل، منشورات جامعة سبها 1986 ص37-66.

7 ــ أنظر يوسف فضل حسن ، مرجع سابق ص33.

8 ــ نفسه، ص39.

9 ــ انظر يا قوت الحموي، معجم البلدان مادة إفريقيا ص228.

10 ــ سيرة ابن هشام ، ج1 ، ص321.

11 ــ ابن عساكر تهذيب التاريخ ج6، دمشق 1349 ص450.

12 ــ أنظر الجاحظ، البيان والتبيين، عبدا لسلام هارون، ط1، مكتبة الخانجي القاهرة، 1975 ج3، ص390.

13 ــ انظر يوسف خليفة أبو بكر، مكانة اللغة العربية، في لغات إفريقيا وثقافتها، من قضايا اللغة العربية المعاصرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة العلوم تونس 1990 ص240.

14 ــ محمد صالح محمد أيوب، مجتمعات وسط إفريقيا بين الثقافة العربية والفرانكفونية، منشورات مركز البحوث والدراسات الإفريقية 1992 ص7.

15 ــ نفسه.

16 ــ نفسه ص11.

17 ــ نفسه ص13.

18 ــ نفسه ص21.

19 ــانظر الخليل النحوي، إفريقيا المسلمة الهوية الضائعة، دار الغرب الإسلامي ط1 بيــروت لبنان 1993 ص23 نقلاً عن العالم الإسلامي والاستعمار أنور المعداوي ص371

20 ــ محمد بكارى الأدب السواحيلي الإسلامي ونقاد الأدب الفرنسي، مجلة الدراسة العربيــة الأفريقية العدد الأول 1987.

21 ــ سيد حامد حريز، اللغة السواحيلية واللغة العربية، المنظمة العربيــة للتربيــة والثقافــة والعلوم، تونس 1992، ص81.

22 ــ جيكون ف.أدي آجاي، اثر الاستعمار على الثقافة الإفريقية العربية في غرب إفريقيا من العلاقات بين الثقافة العربية والثقافة الإفريقية، المنظمة العربية للتربيــة والثقافــة والعلــوم تونس 1985 ص139.

23 ــ عبدا لرحمن أحمد عثمان، الجاليات العربية والإسلامية في إفريقيــا العمــل المــشترك العربي الإفريقي الواقع الراهن وآفــاق المــستقبل، مركــز دراســات العــالم الإســلامي 1992ص240.

24 ــ انظر عبد القادر إدريس أربون، الرابطة الثقافية بين مدينة غــدا مــس ومــدينتي غــاو وتنبكت، في أعمال ندوة الروابط الثقافية على حافتي الصحراء الكبرى سبها ليبيا، 2004، لم تطبع بعد.

25 ــ الخليل النحوي، إفريقيا المسلمة الهوية الضائعة، دار العــرب الإســلامي، ط1 1993 بيروت، ص77، نقلاً عن lesre lationsidem ، p.197.

26 ــ جميل عيسى الملائكة، من قضايا اللغة العربية المعاصرة، عن المنظمة العربية للتربيــة والثقافة والعلوم تونس 1990، ص123.

27 ــ صبحي الصالح، دراسة في فقه اللغة، ص175.

28 ــ انظر جو رجي زيدان، اللغة العربية كائن حي، دار الهلال بيروت ص58ــ59.

29 ــ أنو زاد حسن محمد، المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، منشورات جامعة قــار يــونس، ليبيا، ص56.